المصدر: الاهـــــــرام

مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات التاريخ : ٢٠/١٠/١٩٧٣

تحليل فنى لخطـاب الرئيس فى

آداب السـياسـة والحـرب والسـلام

ما برحت مسحورا بخطبة القائد المظفر والرئيس المؤمن الامين . آثرت سماعها دون رؤية . فالصوت والنبر وتحولات النغم ، وتنويعات الاداء كلها عنـدى موسيقى مجردة عن ملابساتها من حماس جمهرة واعية تمثل شعب مصر أحسن تمثيل ولماحته وحضارته وذكائه — كما ادركت من ضروب انفعالها بالخطاب .

خطبة نموذجية فى آداب السياسة والحرب والسلام ، لغة واسلوبا وبناء فنيا ، وقـدرة على التاثير . لا بلغتهـا الواضحة النيرة فحسب ، ولكن باسلوب ادائها ، وبامتلاكها لادق دقائق الموقف السياسى الدولى ، والعسـكرى ، على الصعيد القومى ، تحليلا ، وتعليقا ، تنبيها وتحذيرا .

لاعنف فيها ، لاتحديات كلامية فارغة ولاخروج عن أدب الحوار ، ولا استغلال مشاعر كاذبة .

حديث قلب مطمئن الى حقه ، وعقل واثق من سلامة سلوكه ، وسداد خططه وسيطرة كاملة على جيشـان العواطف يكبح حماسها وفرحها ، ويتستر على أساها ، فهو على حـد قوله « يتابع انتصاراتنا فى خشوع لانه يعرف الحرب »

قاومت السـحر العجيب طوال يوم سماعها وليلته ، انتظارا لقراءتها على مهل فى الصـباح . وقد حرصت على قراءتها فى ترجمتها الفرنسية والانجليزية قبل ان اتناول نصها فى « الاهرام » ، منقبا عن اسرار بلاغتها وتأثيرها ، فيما جاءت به كتب اللغة والادب ، ولكن فيما حنتة لها حس مرهف بالكلمة والعبارة والجملة موجة تعلو موجة ، تحركها ريح فتضطرب عبابا ويهدئها نسيم فتنسابب بردا وسلاما .

وصوت الخطباء يتحمل قسطا هاما من قوة التأثير مهما اوتى الخطيب من بلاغة وسلامة لسان وبراعة تمثيل ، فان معدن صوته يرتفع به ارتفاع عازف صناع لالة وثرية ثمينة ، ويهبط هبوط العازف نفسه على آلة رخيصة .

وصوت السيد رئيس الجمهورية ممتاز بثراء رنينه فى الطبقـات الخفيضـة والوسـطى والعالية ، يوجهـه توجيها موسيقيا طيعا زتيبا تبعـا لما تختلج به عواطفه وتجيش .

فلنفحص الخطاب اعتناء بتحليله فى

صميمه الانسانى :

تأمل المطلع فى بساطة لمجتمع مدونها بعد اسم الله . يبدأ فى بلاغة المفارقة التى اختص بها الاسلوب الخطابى للرئيس كأن يقول :

« لكن شاغلى ــ كان كما تعلمون .. وكما تريدون ، واثقا انكم تقدرون وتعذرون » .

ومنذ اول لحظة يشعرك لابس البزة العسكرية ــ بحكم نشأته وحرفته وقيادته العليا ــ **يشترك بأنه بعنى التحدث عن أخطر قضايا الساعة : قضية الحرب نعم ، ولكن قضية السلام كذلك .**

واذا به لايقف امام شعبه وامته والعالم لكى يتفاخر ويتباهى ! يكتفى هذا صورة لانسان عظيم فى لباس محارب .

صدق وهو يقول : **سوف يجىء وقت نتذاكر خروج « الابطال من فترة حالكة ساد فيها الظلام ، ليحملوا مشاعل النور وليضيئوا الطريق حتى نستطيع ان نعبر الجسر ما بين اليأس والرجاء » .**

وما اصدقه عندما يؤكد مانؤمن به دائما ، ويجب ان نؤمن جميعا ، وهو ان نكسة سنة ١٩٦٧ كانت استثناء فى تاريخنا ..

لا لاننا لم يسبق لنا فى ذلك التاريخ هزائم ، بل لان ماتلطف الرئيس ووصفه بالنكسة كان حدثا مروعا رهيبا لايشبهه شىء فى تاريخ الحروب .

فنى اغلبها ، حتى بين جيش جبار وجيش ضعيف [فى حروب الاستعمار على سبيل المثال] يتحارب الجنود حتى يتغلب جيش على جيش آخر .

ولم يكن والله جيشنا آنذاك ضعيفا ولاناقص العدة والعدد . ولكن سلوك قادته الكبار كان المسئول وحده عن نكبة انبتت نبتا شيطانيا ، واسطورة كاذبة امام العالم ، عاشت أطول من اللازم عن جيش لايقهر .

ثم ترد فى الخطاب فقرات تبدأ بمعاهدة الله ، وتختم بحمده فى ترجيع شعرى جميل .

عاهد الله وعاهد امته على ان لايدخر جهدا ولا ان يتردد دون تضحية ، ولاأن يتأخر عن لحظة يجدها ملائمة ، ولايتقدم عنها .. لايغامر ولايتلكأ .

عاهد الله وعاهد امته . وحاول مخلصا ان يفى بالوعد ملتمسا عون الله وطالبا ثقة شعبه وامته . ثم اكتفى ــ دون التفاخر بوفاء الوعد ــ بقوله « وانى لاحمد الله » .

كان واثقا من أن شعبه وأمته هم القاعدة السليمة ، ومادامت القاعدة بخير فان كل شىء بخير واثقا بانه سوف يجىء يوم تظهر فيه الحقيقة لغيره كما كانت ظاهرة له « واحمد الله » .

ست مرات يترنم الترجيع فى مطالع هذه السمفونية المصرية . ثم عاد حمد الله بعد قليل ، خاتمة لجملة من اروع واجمل ما جاء فى الخطاب :

« اننى لانفضل احترام العالم ولو بغير عطف ، على عطف العالم اذا كان بغير احترام ، واحمد الله ! » هذا تمداد بالقراءة ، ولكن التعاهد وحمد الله كان اكثر من ذلك كثيرا ، كان لحنا رائدا

« لايتموتيف » لسمفونية البطولة المصرية تلك . اذا خفى امره على القارىء ، وربما على السامع ، فلانه لم يجىء فى السطر اللحنى ، وانما كان قائما فى قرار الهارمونيا .

تأمل كيف تحول اللحن الرائد فى ختام السمفونية ، ونما الى تهجد الايمان :

« ربنا كن لنا عونا وهدى — ربنا ، وبارك لنا فى شعبنا وامتنا — ربنا ، وعدت ووعدك الحق : ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم » .

انقذ القائد المظفر شرف القوات المسلحة بجملة واحدة تلالات كوكبا دريا حين وثق ، دون ان يخامره شك ، بأن تلك القوات كانت من ضحايا نكسة ٦٧ ولم تكن ابدا من اسبابها .

لن تجد صعوبة ، مستمعا او قارئا ، فى اكتشاف رصيعات من الكلم تتالق جواهرها فى انسان الامين ، وترقص لها القلوب فرحا .

استمع الى الخطيب يصف العبور وقد افقد العدو توازنه ، فاذا بالخطيب يحدد توقيت تمام العبور بست ساعات البس هذا ردا خالصا على ماسمى كذبا بحرب ستة الايام !

والى الجملة التى يطمئن بها القائد شعبه وامته بعد خوف ، الى ان «هذا الوطن اصبح له درع وسيف » .

والى تحيته لسلام العدل ، فى مواجهة سلام العدوان ، وهو المحارب من اجل السلام القائم على العدل .

ثم تحليله لظاهرة بشعة من ظواهر الاستبداد ، وحروب العدوان ظاهرة **الارهاب** .. نقال : « ان عدونا تصور قوة الارهاب قادرة على ضمان الامن » . ثم كذب تصوره بجملة من جمله ذات الاتزان المزدوج المعجب فى المواجهة البلاغية : حين يثبت للعدو ان الارهاب قد يصلح بضعف الاخرين فى يوم ،ولكنه لايصلح اذا ما استجمع هؤلاء قوتهم فى كل يوم .

وتأمل الثقل الذى يضعه فى جانب التاريخ وطبيعته ، حين يصف قيادة العدو بانها تقف موقفا معاديا للتاريخ .

ما اروع الخطيب حين يسبر غور الطبيعية المصرية السمحة فى قوله بأننا **« لسنا دعاة ابادة كما يزعمون »** .

ولكنه يذكر العدو المعتدى بحكمة الكتب السماوية — او شريعتها — ومن بينها توراة موسى عليه السلام : « العين بالعين ، والسن بالسن » ، واضاف الخطيب اشارة عملية : **والعمق بالعمق!**

فما أعف لسانه وهو يتحدث الى الدولة « السوبر » عظمى فى نصف الكرة الغربى دون ان يخفف سخريته وقسوته . فهى لم تكتف كما تقول بأنها فوجئت ، انما هى افاقت من المفاجأة .. دون ان تعود الى الصواب . !

ثم ما احكمه سياسيا حين يشيد بسياسة الوفاق بين « السوبرين » مع تحفظ واحد ، وهو دخول العالم فى عصر السلام ذى المعنى الواحد : الشعور بين كل شعوب الارض بسلام ترضى به سلاما لها وليس سلاما مفروضا عليها .

وعندما اهل الخطيب على مداخل الختام فى خطابه ، اشاد بالسلام «لانه يعرف الحرب ، واعز القائلين هو الذى علمنا : «كتب عليكم القتال وهو كره لكم»

حسين فوزى